كتاب السموم : لجنك ام لشاناق ؟

Le Véritable Auteur du Livre des Poisons.

قرأت في لغة العرب المحبوبة (٩ : ٢٩١) ، عبارة الاستاذ المجد العامل ، ف . كرنكو ، عن كتاب السموم ، الذي اخذت الآنسة ستروس تعده للنشر ، ولكنني توقفت عند نسبته الكتاب الى جنك ، والذي اعرفه انه لشاناق ، الحكيم الهندي ، وعندي نسخة منه منقولة عن نسخة خزائنية ، محفوظة بخزانة الكتب الخالدية في بيت المقدس ، جاء في اولها بماء الذهب :

« خزانة كتب المولى ، الملك العالم ، العادل ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، المجاهد ، نور الدين ، ركن الاسلام ، ظهير الانام ، مغيث الانام ، صفوة الخلافة ، محيي العدل ، قسيم الدولة ، قوام الملة ، مجير الامة ، فخر الملوك والسلاطين ، قاهر المتمردين ، قامع الكفرة والمشركين ، نصرة المجاهدين ، غياث الجيوش ، حامي ثغور بلاد المسلمين ، امير العراقين ، فلك المعالي ، ملك امراء الشرق والغرب ، شهريار الشام ، بهلوان جهان ، خسرو ايران ، اخ (كذا . لعلها اخي) ارسلان ، ألب غازي ، ايناتح (١) (؟) ، قبلغ ، طغرلبك ، اتابك ، ابو (كذا . لعلها ابي) الحرث ، ارسلان شاه ، بن مسعود ، بن مودود ، بن زنكي ، بن آقسنقر ، اتابك ، ناصر امير المؤمنين ، اعز الله انصاره ، وضاعف جلاله واقتداره . »

وهذا المولى الذي لم يدع ناقل النسخة ، يحيى بن اسمعيل الربيعي ، نعتاً من النعوت الجليلة ، ولا صفة من الصفات الطيبة إلّا وصفها به ، هو صاحب الموصل ، المعروف باتابك ، الملقب بالملك العادل ، نور الدين الذي ملك الموصل بعد وفاة ابيه ، وكان شهماً ، عارفاً بالامور ، توفي ليلة الاحد التاسع والعشرين

---

١) نظن انها ايتاخ احد قواد المعتصم بالله العباسي وكان شهيراً ، راجع ابن الاثير طبع الافرنج ٦ : ٣٢٥ و٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤٥ و٣٤٨ و٣٦١ و٣٦٤ و٣٦٥ و٣٦٧ و٣٦٩ و٣٧٥ ثم ٧ : ٨ و٢٢ و٢٥ و٢٩ الى ٣١ و٩٠ ومن الغريب ان معلمة الاسلام لم تذكر هذه الكلمة او هذا العلم الذي اصبح كالنكرة فمعلمة الاسلام كثيرة النقصان (ل . ع) .

من رجب سنة ٦٠٧ في شبارة (١) بالشط (٢) ، ظاهر الموصل ، كما ذكره ابن خلكان في وفيات الاعيان : (١ : ٧٧ من طبعة بولاق) .

وهذا ما كتب في اول صفحة من الكتاب بالحرف :

« كتاب شاناق ، في السموم والترياق »

وهو من اسرار حكماء الهند ، وكانت الملوك تصون هذا الكتاب في خزائنهم عن اولادهم ، وخاصتهم . وهو كتاب جليل القدر ، عظيم الخطر ، يشتمل على معرفة المسمومات ، بمجرد النظر اليها ، وصفة مجسها ، وما يعرض للانسان من ذوقها ، ومن حصولها في المعدة ، وعلامات الاطعمة ، والاشربة المسمومة ، وغيرها مما يتناوله الانسان من الفواكه الرطبة ، واليابسة ، وعلامات الاشياء المسمومة من الثياب ، والبسط ، والفرش ، وما يلامس الجسد من الغسول ، والادهان ، والاكحال المسمومة ، وصفة السموم الموجبة ، والسموم المضاعفة القوى ، المسمى (٣) « سم ساعة » وترياقها ، وذكر ترياق لجميع السموم ، والافاعي كلها ، لا يضر من يستعمله شيء من جميع السموم والحيات ؛ وذكر الادوية الممرضة ، والمرقدات ، والمبنجات ، وحلها ، وصلى الله على خاتم النبيين وسيد المرسلين ، نبيه محمد وآله الطاهرين . »

اما المقدمة فهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الحمد لله كثيراً كما هو اهله وصلى الله على محمد ، وعلى آله الطيبين الاخيار ، وسلم تسليماً » .

« كتاب شاناق في السموم المستنبطة »

كان شاناق عظيماً في الهند ، رفيع القدر عند اهل دهره ، فوضع هذا الكتاب فذكر فيه السموم المستخرجة بالحيل ، والدلالة على ما يضادها وينفيها ، ويدفع

١) الشبارة نوع من سفن دجلة وتسمى ايضاً الحراقة والسلورة (ل . ع) .

٢) الشط عند العراقيين: النهر الكبير اي Fleuve وساكنو ضفاف دجلة يريدون به نهرهم . وساكنو عدوات الفرات يريدون به نهرهم . اما هنا فالمراد به دجلة (ل . ع) . (٣) كذا . ولعل الصواب المسماة . (ل . ع)

ضررها باذن الله . « فسره من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي ، منكه (١) الهندي ، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي ، رجل يعرف بأبي حاتم البلخي ، فسره ليحيى بن خالد بن برمك . ثم نقل للمأمون على يدي العباس بن سعيد الجوهري ، مولاه ، وكان هو المتولي لقراءته على المأمون . »

قال العباس بن سعيد الجوهري : قال شاناق عظيم الهند في اول كتابه هذا بعد ان حمد الله ، واثنى عليه ، وحلف بعظيم البد (٢) ان النعم الظاهرة الفاشية زارعة للحسد في القلوب ، والحسد مفتاح البغضاء ، والبغضاء تنتجها المداوة ، بضمر المضمار ، والمضمار ينقسم قسمين ، فاحد القسمين: سر مكتوم ، والآخر جهار منظور ، فالجهار هو المباداة في المطالبة ، للتلف ، كعقد الولاية ، وتعبية العساكر ، ونضد الصفوف ، وزحف الرايات ، وخفق الطبول ، والتدرع ، والاهبة بالسلاح ، واعلان ما تسره الافئدة والقلوب ، من جليل الآفة ، وعظيم البلاء ، ومراقبة التمكن من التراب ، ومن هذا يكون الحذر ويتنبه المطلوب من سنة الغفلة .

والقسم الآخر من المضار المكتوم ، هو مردة الاعداء بظاهر حسن الشاهد في اللقاء ، وترصد المخاتلة لهم بالبلاء ؛ وهذا ابلغ الوجهين ، في عموم المضرة واسرعه في تهتك الملامة . فشبه سم بسم ، يحلل الانفس من ابدانها ، في اسرع الاوقات ؛ فاخفى سلاح القواتل ، وابلغها مراداً ، واقربها ماخذاً ، في تلف العدو السم الوحي ، وهو ينقسم اقساماً : فمنه الطبيعي من الحيوان ؛ مما تسره الهوام القاتلة ، في جوف أنيابها ، وحمم (٣) اذنابها ، وغير ذلك ، من دون البحر والبر ، من مأكول وملبوس ، ومنه من النبات من عروقه ، وورقه ، ونوره ، وبزره

١) وقد نبه الاستاذ الدكتور ف . كرنكو (٩ : ٣٣٧) ان الرواية الصحيحة هي صنكة او حنكة او حنك بجيمين مثلثتين في اللفظين الاخيرين (ل . ع) .

٢) البد : الصنم فارسي معرب ويكتبه الفرس والترك « ت » (الكاتب) . قلنا : الصواب ان المراد بالبد هنا الحكيم الاكبر عند الهنود (ل . ع) . (٣) كذا في الاصل . وهي جمع حمة كجمة . وهي لغة ضعيفة في الحمة المخففة . وجمع المخففة حمى للكثرة وحمات للقلة . واما جمع المشددة فحمم كجمم كما في الاصل وهي دون الاولى فصاحة . (ل . ع)

وثمرة ، ومنه معدني ، وهو من انواع حجارة الارض ، ومنه ما هو ظاهر مكشوف ، مما استخرجه الحكماء من جوهر الحديد ، كالسيوف القواطع ، والاسنة ، والحراب ، والرمي بالنشاب ، وما اشبه ذلك من العدة مما به تكاملت القرنافي (؟) الى (١) علتين : احدهما (٢) مواجهة المواقع لها ، مما فيها من البلاء الكامن ، تحتاج الى ملاقاة ضدين ، لانه ربما كان فيها مانع ، فلا تعمل بالوحدة ، إلّا عند ملاقاة الضد ، لانه ربما كان لذلك المانع كيفية زائدة في الحر ، فيحتاج الى كيفية زائدة في البرد ، او مانع من اليبس ، فيحتاج الى كيفيـة زائدة من الرطوبة ؛ والحاجة العظمى هي حسن تركيبها ، واحكام تأليفها ، حتى يتم ما يراد منها ، ولذلك نظير لما نجده حسـاً من حكمنا (٣) خشب الصندل على صندل مثله ، والصندل بارد ، فيظهر منه حراً (٤) والنورة والزرنيخ ، يحدث منهما احراقاً (٥) .

والوجه الآخر ان لا يكون قواها خارجة الى الفعل إلّا على الاجتماع والازدواج بينها (٦) ، ومقدار ما يؤخذ منها (٧) في الوقت الملائم لذلك ، نظيراً (٨) لما نجد ايضاً ، ان الرجل منا ، يضعف عن رفع حجر ، فيحتاج الى معونة رجل آخر مثله ، على رفع ذلك الحجر ...» الخ

وقد قسم الكتاب الى ثلاث مقالات : الاولى في الطعام المسموم ، والشراب والثمار ، والملابس ، والاكحال .

والمقالة الثانية في الادوية المضادة لتلك السموم .

والثالثة ، في الادوية المضادة لسموم المطور ، والادهان ، والغسولات .

---

١) كذا ، وهو كلام لا يفهم منه شيء ، والصواب كما في نسختنا : تكاملت به القرناء [جمع القرين] في المزاحفة ، الى علتين ... (ل . ع) (٢) احد يقال للمذكر والمؤنث (ل . ع) (٣) كذا ، وهذا من الرطيني ، والصواب ما في نسختنا : لما نجده اذا حككنا خشب الصندل على صندل مثله (ل . ع) . (٤) كذا ، والصواب حر (ل . ع) . (٥) كذا ، والصواب احراق (ل . ع) . (٦) كذا ، والصواب بينهما (ل . ع) . (٧) كذا ، والذي في نسختنا : ما يوجد منهما . (٨) كذا ، والذي في نسختنا : نظير (بالرفع) .

والكتاب صغير الحجم لا يزيد على خمسين صفحة من القطع الصغير جاء في آخره :

«قال شاناق الحكيم : وكانت الاوائل من علماء الهند تسمي هذا الكتاب : « اليتيم» لانه واحد في معناه .»

قال العباس بن سعيد الجوهري : قال المأمون : ينبغي ان يسقط من هذا الكتاب نعت الجارية المسمومة . لان هذا فعل الجاهلية من الهند . ولا حاجة بنا اليه . لانه يتلف فيه الف طفل ، من قبل ان يسلم واحد . فاسقط ذلك من هذا الكتاب ، وليتق الله من صار اليه هذا الكتاب : ويصنه ، ويعالج به من ابتلي بشيء مما في باطنه . فان اجره عظيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . » انتهى .

وبعد فان النسخة التي نقلنا عنها لم تنفرد بنسبة الكتاب الى شاناق ، بل ان النسخة التي بخزانة المغفور له احمد تيمور باشا المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م في القاهرة نسبت اليه ايضاً باسقاط الالف بين الشين والنون ، وقد كان ذكر ذلك المرحوم بمقال نشره في مجلة الهلال « ٢٨ : ٣٢٦ » عن نوادر المخطوطات .

وقد ترجم ابن ابي اصيبعة لشاناق (١) وقال : « ان كتابه في السموم ، خمس مقالات ، وان له من التواليف : كتاب البيطرة ، وكتاب في علم النجوم وكتاب منتحل الجوهر ».

وقال ملا كاتب جلبي(٢) : « كتاب السموم لشاناق الهندي ، خمس مقالات فسره من الهندي الى الفارسي ، منكه الهندي» . الى آخر العبارة الواردة في مقدمة الكتاب .

فهل يصح بعد هذا كله ، ان تنسب الكتاب الى « جنك » الذي قد يكون هو الاسم الصحيح ، في اللغة الاردية (٣) للمؤلف بعد ان اطلق عليه العرب

١) طبقات الاطباء ٢ : ٣٢ . (٢) في كشف الظنون ٢ : ٢٨١ من طبع الاستانة .

(٣) لا يظن ان شاناق كتب رسالته باللغة الاردية أو قل الاردوية ، لان الكتاب صنف قبل ولادة المأمون التي كانت في ١٠ تموز ٧٩٢ م . والاردوية هي الهندستانية ، وهي فرع من اللسان الهندي . والهندي شطء من اللغة البراكريتية . ولم تنشأ الاردوية الا

اسم « شاناق » ، او نقلوه الى لغتهم على اوزانها بتلك الصورة .

عبد الله مخلص

(لغة العرب) لا جرم ان الكتاب لشاناق الهندي . والذي نقله من اللسان الهندي الى الفارسي هو جنكه الذي هو هندي ايضاً . فمن نسب الكتاب الى شاناق فقد نسبه الى صاحبه ومؤلفه الحقيقي ، ومن نماه الى جنكه اوصنكه فقد عزاه الى ناقله الى الفارسية ، ومن قال بانه لابي حاتم البلخي فقد عاد فيه الى معربه . والكل مصيب ، اذ قد يجوز هذا جماعة من الادباء من باب التوسع . اما الصحيح الذي لا ريب فيه فهو لشاناق .

وعند صديقنا العزيز المحامي عباس افندي العزاوي نسخة من هذا الكتاب ، ولديه كتاب آخر في السموم لزنطاح الحكيم .

وقد كتب الينا حضرة الخل الوفي الاستاذ الدكتور فريتس كرنكو ان في خزانة برلين العمومية نسخة من كتاب السموم لشاناق الهندي . ورقمها ٦٤١١ من مجموعة أهلورد . ودونك اولها : « كتاب شاناق الهندي في علامات الاشياء المسمومة ، وبماذا تسم ، وعلامات من شربه بعضها وما يلحقه من العلل ومداواتها . كان شاناق الهندي عظيماً عند اهل زمانه ، حكيماً »... الى آخر ما هناك .

وبعد ان وصل تعليقنا الى هنا بلغ الينا كتاب تاريخ الآداب العربية لبروكلمن وقد وجدنا في المجلد ١ : ٢٤٢ ان في ليدن (هولندة) نسخة من كتاب السموم والترياقات رقمها ١٢٨٤ وفي المتحفة البريطانية نسخة رقمها ١٣٥٧ . وفهرس كتاب بروكلمن هذا من اسوإ ما رتب ، فانه يجري في ترتيب اسماء الكتب على الهجاء العربي ، وبالطريقة العربية ، مع ان الحروف حروف افرنجية . وهو في نهاية الاضطراب حتى ليصعب على الباحث ان يجد ضالته ، اللهم إلّا ان يكون ذلك تبهاً . فما اسخف واسقم هذه الطريقة ! .

من تأثير الاسلام في الهندي ، اي في المائة الحادية عشرة للنصرانية ، او بثلاثمائة سنة بعد المأمون . ومعنى الاردوية : « لغة المعسكر » وهي خليط من الهندي ، والعربي ، والفارسي والمغولي . اذن لم يصنف كتاب السموم بالهندستانية ، بل بالهندي ، الذي هو فرع من البراكريتية القديمة كما لا يخفى على من له ادنى اطلاع على لغات تلك الديار (ل . ع)